



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)10.54239/2319-023-002-010

التراث المخطوط في الدراسات والأعمال الأكاديمية الجزائرية: تجربة تحقيق مخطوط فتح وهران الثاني عام 1792م أنموذجا **Manuscript Heritage in Algerian Academic Studies and Works: the Experience of Realizing the Manuscript of the Conquest of Oran in 1792 as an Example**

د/ قدور بوجلال *

جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر. الجزائر

Boudjellal.kadour@univ-mascara.dz

تاريخ القبول: 2024/10/23

تاريخ المراجعة: 2024/08/14

تاريخ الإرسال: 2024/07/29

الملخص:

يعتبر الشيخ المهدي البوعبدلي واحدا من رموز المعرفة التاريخية في الجزائر، فقد تمكن هذا الباحث من تحقيق العديد من المخطوطات وتقديمها للقراء، ومن خلال دراسة محتوى كتاباته فإننا نجد بأن له نظرة شمولية للتاريخ خاصة الفترتين الحديثة والمعاصرة. وعلى حسب ابن خلدون فإن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، وهذا ما أراده المهدي البوعبدلي فعمل على المساهمة في الحفاظ على رسالة التاريخ وغاياته وهذا من خلال استقدام الماضي لفهم الحاضر وبناء المستقبل وهذا بإنقاذ كنوز تاريخية لموروثنا الثقافي. إن هذه الدراسة التي نسعد بتصديدها تمثل خطوة في الرقي بالدراسات التاريخية، فهي تتناول بالدراسة أحد المصادر المحلية وتحاول قراءتها على ضوء مواصفات البحث التاريخي. الكلمات المفتاحية: البوعبدلي؛ ابن سجنون؛ وهران؛ مخطوط؛ تأليف؛ التراث؛ التاريخ؛ البحث التاريخي.

* د. بوجلال قدور/ الجزائر

Abstract:

Sheikh Al-Mahdi Al-Bouabdali is considered one of the symbols of historical knowledge in Algeria. This researcher was able to publish many manuscripts and present them to readers, and by studying the content of his writings, we find that he has a comprehensive view of history, especially the modern and contemporary periods. According to Ibn Khaldun, history is a cherished art, the madhhab. The benefits are worthy of honor, morals and the prophets in their biographies and the kings in their countries and their politics, This is what Al-Mahdi Al-Bouabdali wanted, so he worked to contribute to preserving the message of history and its goals, and this is by bringing the past to understand the present and building the future, and this by ruining the historical treasures of our cultural heritage. This study, which we are happy to export, represents a step in the advancement of historical studies.

Keywords : Al-Buabdali; Ibn Sahnoun; Oran; Manuscript; Authoring; heritage; history; historical research.

- مقدمة:

أصبحت المصادر المحلية تشكل حجر الزاوية في تجديد الكتابات التاريخية، سواء من حيث المواضيع المطروحة أو المسائل المعالجة وحتى طريقة المنهجية المتبعة. وهذا ما يتطلب في أيّ إسهام تاريخي يتّصف بالجديّة والأصالة أن ينطلق أساساً من قراءة نقدية تحليلية للمصادر المتداولة بموازاة البحث عن الجديد من المادة التاريخية المتعلقة بالتاريخ المحلي، لكونهما دعامتان أساسيتين لتواصل وتطور أية مساهمة تاريخية جادة، فبدونهما لا يمكن للباحث أن يحصل على معلومات جديدة أو أن يكون نظرة واقعية عن المشهد التاريخي سواء في مجاله المحلي أو إطاره الإقليمي وحتى في بعده الحضاري.

وعلى ضوء هذا الواقع تصبح المصادر المحلية في أي عمل تاريخي طموح وجاد أكثر من ضرورة لإثراء وتجديد المعرفة التاريخية، فهي المرآة الصادقة التي تعكس الوضع الداخلي واللسان المعبر عن روح العصر وحركية المجتمع، فضلاً عن كونها الذاكرة الحية التي تخزن قضايا الإنسان الجزائري الثقافية والاجتماعية ومتطلباته الاقتصادية (رقية شارف، 2007: 09). ولعلّ هذا ما تنبّه له العديد من الكتاب الجزائريين وخاصة منهم المهتمين بتراث مجتمعات المغرب العربي، فأولوا منذ منتصف القرن العشرين الميلادي

عناية خاصة بنشر بعض المصادر المحلية فأعتبر جهدهم تدعيما للنهضة الوطنية وتعزيزا للذاكرة التاريخية وتوسيعا لآفاق البحث في التاريخ الجزائري الحديث، وقد كان السبق في ذلك للشيخ المهدي البوعبدلي ناشر مخطوط " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " لابن سحنون الراشدي (ابن سحنون الراشدي، 1973: 13)، ومحقق مخطوط " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران " لمحمد بن يوسف الزياتي (محمد بن يوسف الزياتي، 1978: 06).

إنّ هذه المصادر المحليّة العديدة التي أثّرت الرصيد التاريخي للشعب الجزائري، يظلّ أغلبها على ضوء شروط البحث العلمي في حاجة إلى قراءة جديدة ومراجعة علمية لضبط نصوصها وتحليل مضمونها ودراسة الظروف التي كتبت فيها، لا سيما وأنّ العديد من هذه المصادر نشر بنصّه الحرفي كمادة خام ولم يخضع للمراجعة أو التصحيح أو التحليل حسب قواعد التحقيق المتعارف عليها في نشر المخطوطات (محمد دباغ، 2004: 102) ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية ما هو واقع التراث المخطوط ضمن الدراسات والأعمال الأكاديمية الجامعية؟ وماهي الحلول المقترحة لإنقاذ هذا التراث؟ ومما يؤسف له أنّ بعض المصادر أعيدت صياغة مادته التاريخية عند نشره بحيث لم يعد من الممكن معرفة اللغة والأسلوب الذي كتب به، وقد أثّرت في هذا البحث أن أقرأ الدراسة التحليلية النقدية للشيخ المهدي البوعبدلي حول كتاب الثغر الجماني رغبة مني في التعريف بهذا العمل التاريخي والأدبي وإمالة اللثام عن قلبه التعبيري في هذا الاتجاه. إنّ هذه المداخلة التي نسعد بتصديرها تمثل خطوة في الرقي بالدراسات التاريخية، فهي تتناول بالدراسة أحد المصادر المحلية وتحاول قراءتها على ضوء مواصفات البحث التاريخي الذي لا يكفي بمعالجة الأحداث كعرض خبري ولا يتقبّل المشهد التاريخي كصورة جامدة وغير معبّرة، بل يأخذ بالجدلية التاريخية التي تحلّل الظواهر التاريخية من حيث كونها فعلا إنسانيا صادرا عن تفاعل عناصر الحياة وهي الإنسان والزمان والمكان لتعبّر عن نفسها في صورة حيّة ومشهد معبّر للتجربة الإنسانية.

1- محقق المخطوط:

إنّ الحديث عن مؤلّف هذا الكتاب ومحتواه يلزمنا أن نشير إلى محققه وناشره الشيخ المهدي البوعبدلي الذي كان له الفضل في ذيوعه وانتشاره، أو لعلّه بهذا العمل



الذي أفاض فيه، قد رام من ورائه إبراز أهمية المخطوطات وقيمتها التاريخية والفنية، حتى يلفت الانتباه إليها ويوجّه الأنظار حولها. شأنه في ذلك شأن الدكتور محمد بن عبد الكريم الذي قال عند تحقيقه لرحلة محمد الكبير: "قد قمنا بتحقيقها حتى يستفيد منها الجمهور، ويطلع على ماضي أجداده وبلاده" (ابن هطال التلمساني، 1969: 11). ولأننا كثيرا ما نقف على أحداث تاريخية مطوّلة مذكورة في مصادرنا ولكن حينما نبحث عنها في كتب أخرى، فإننا لا نعثّر إلّا على القليل منها أو على أجزاء ونتف مبثوثة هنا وهناك. أريد أن أقول - بكلّ اختصار - أنّ تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي للثغر الجماني كان من الأسباب المباشرة التي حفظت لنا هذه المخطوطة إلى اليوم.

والشيخ البوعبدلي في تقديمه ونشره للمخطوط يلفت انتباهنا إلى أمر هام وهو ذاك التواصل العلمي والثقافي بين أبناء المغرب الواحد في ذلك العصر، إذ رغم صعوبة الرحلة وقلة الإمكانيات، فقد كان التبادل الثقافي همزة وصل بين أبناء المنطقة تحدوهم في ذلك الرغبة الشديدة في التعرف والاطلاع على نتاج العصر سواء أكان مغربيا أم جزائريا أم إفريقيا تونسيا.

والشيخ البوعبدلي كما تُرجم له هو الشيخ المهدي بن أبي عبد الله البوعبدلي وُلد سنة 1907 ميلادية، مؤرّخ وعالمة ممّن رحلوا من الجزائر إلى الزيتونة بتونس خلال عقد الثلاثينات عوض القرويين بفاس. وكان من ضمن رفاقه هناك الشيخ أحمد حماني، والشيخ علي المغربي وآخرون كثيرون، في الجامعة الزيتونية التي كانت قبلة للطلبة الجزائريين، بعد أن سُدّت في وجوههم هنا بالجزائر أبواب العلم والمعرفة والتعليم من طرف الإدارة الفرنسية الاستعمارية. وعندما عاد الشيخ المهدي إلى الجزائر اشتغل مُفتيا في بجاية سنوات طويلة، بفضل تفقّهِه وتضلّعه في العلوم الشرعية. فتمكّن من جمع ثروة هائلة من المخطوطات والرسائل والدراسات، ومن بجاية انتقل الشيخ المهدي إلى مدينة الشلف ليُمارس نفس الوظيفة - مُفتيا - إلى ما بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 م، ليلتجئ خلالها إلى المغرب الأقصى حتى استعادة الاستقلال الوطني عام 1962م (أنظر التعليق رقم: 1).

وللشيخ المهدي البوعبدلي مجموعة من المداخلات شارك بها في ندوات ومحاضرات علمية أبرزها ملتقى الفكر الإسلامي الذي ساعده على الكتابة والإبداع

والإنتاج الفكري والعلمي والأدبي والمعرفي بصفة عامة (المهدي البوعبدلي، 1982: 349). ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد وُجدت شهادات ووثائق ترصد جوانب من مسيرة الشيخ، حيث قال فيه الدكتور أمين الزاوي مدير المكتبة الوطنية في تقديمه لكتاب "الشيخ البوعبدلي ... شهادات ووثائق" إنَّ الشيخ صرف حياته في العلم بالانتقال من الدين إلى الفلسفة فالآداب والتاريخ وصولاً إلى عطر المخطوطات ("جريدة الفجر، 2008: 12). أمّا الشيخ عبد الرحمن شيبان رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد أشار في تصديره للكتاب إلى أنَّ الشيخ تحمّل أمانة الإصلاح ونشر العلم النافع وخدمة تاريخ الجزائر لترسيخه في أذهان الجزائريين (جريدة الفجر، 2008: 12).

2- مؤلف المخطوط:

يُعتبر الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف الراشدي من أبرز علماء معسكر خلال القرن الثامن عشر (18م)، فهو ينتهي إلى أسرة علمية اشتهر بالعلم كثير من أفرادها من بينهم والده محمد بن علي بن سحنون الراشدي قاضي القضاة بمعسكر على عهد الباي محمد الكبير وأستاذ أبي راس الناصر في الفروع الفقهية (غالم محمد، 1995: 02). أمّا نسبه الكامل فهو محمد بن محمد بن علي بن سحنون بن أحمد بن علي بن عيسى بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (جلول جيلالي، 2006: 156).

وبالنسبة لمولده فلقد ولد ابن سحنون الراشدي يوم 13 من شهر جمادى الأولى سنة 1167هـ/ 1754م بمدينة معسكر، أين تلقى هذا العالم الجليل على يد أبيه ثقافة فقهية وأدبية، حيث حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكراً، وأتبعه بفنون متنوعة فقهية وأدبية. كما حفظ الأحكام والنصوص المتداولة في ذلك العهد (مجموعة أساتذة، 1987: 36)، وفي سنة 1185هـ/ 1771م حطّ رحاله بزاوية سيدي يغلف الكائنة بجبل الراقوبة والمطلّة على سهل غريس ليقرأ على الشيخ بن حوا بن يغلف، ولتعرف على إثر ذلك بابن محمد بن حواء بن يغلف وعلى الشيخ عبد القادر الراشدي دفين وهران. حيث مكث ابن سحنون الراشدي في هذه الزاوية سنتين درس فيها مختصر خليل وابن الحاجب الذي هو عمدة الإمام مالك والتفسير على مدح السراج المنير في الإعانة على

معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، كما درس على الشيخ بن حوا همزية البصري وألفية ابن مالك على شرح ابن عقيل (جلول جيلالي، 2006: 156).

وزيادة على هذا، فلقد تلقّى ابن سحنون الراشدي على يد علماء غريس ثقافة فقهية وأدبية دلّت على اطلاعه الواسع للأدب والفقه والتاريخ الإسلامي بمختلف أطواره، ويتّضح ذلك من خلال الإجازات التي تحصّل عليها سنة 1187هـ/ 1773م بعد انتقاله إلى زاوية "اللوزات" الكائنة بمنطقة غريس، والتي تُعتبر إحدى المراكز الرئيسية للعلوم الفقهية بالوطن الغريسي الراشدي، فدرس بها ابن سحنون العلوم الشرعية كالحديث والتفسير والنقلية كالمنطق والعروض (أنظر التعليق رقم: 2).

ومن الملاحظ أنّ ابن سحنون الراشدي قد مكث في زاوية "اللوزات" بغريس مدة ثلاث سنوات، لما تميّزت به تلك الزاوية بغلبة العلوم النقلية على العلوم العقلية (غالمة محمد، 1995: 02). لينتقل بعدها وفي حدود سنة 1190هـ/ 1776م إلى معسكر فالتحق بالمدرسة المحمدية، وزاول دراسته المعمّقة بها على يد الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي الذي أجازه، وعلى يد الشيخ الطاهر بن حوا والشيخ مصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي. حيث وجد أحمد بن سحنون الراشدي في هذه المؤسسة -المدرسة المحمدية- وبجواره علماء كبار ساعدوه على تنمية مداركه وصقل موهبته، حيث درس بالمدرسة المحمدية سنتين تعلّم فيها صحيح البخاري وفقه اللغة إلى أن صار فقيها وكتّابا وقاضيا من قضاة الراشدية (جلول جيلالي، 2006: 158).

ومن هذا الجانب استطاع العالم أحمد بن سحنون الراشدي أن ينال إعجاب الباي محمد الكبير، الذي عينه مدرسا في المدرسة المحمدية التي بناها هذا الأخير بحاضرة معسكر وكتّابا له في بلاطه وقصره. كما كلّفه الباي محمد الكبير أيضا بتدريس ابنه الأكبر عثمان، والذي مدحه هذا الأخير في مواضع عدة من كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" (غالمة محمد، 1995: 02).

كما أمر الباي محمد الكبير من ابن سحنون الراشدي باختصار كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، فاخصره في نحو ثمانين كراسة وأجازه الباي بمائة سلطاني. ثم أمره بجمع ما تناثر من المقالات ومن الكتب والقواميس الطبية، فكان له ذلك حيث



أنجز تأليفا مرتبا أجاز به الباي محمد الكبير مقابل ذلك بخمسين سلطانيا (ابن سحنون الراشدي، 1973: 147).

وزيادة على هذا، فلقد وُجد لابن سحنون الراشدي تأليف أدبية منها كتابه: "شرح العقيقة" وهو شرح لقصيدة شعرية تضم ثلاث مائة وتسعة أبيات، نظمها الشاعر السعيد بن عبد الله المنداسي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. حيث عنون ابن سحنون شرحه بـ "الأزهار الشقيقة المتضوءة بعرف العقيقة" (غالام محمد، 1995: 02)، تناول فيه موضوعات تتعلق بالأدب والنقد والبلاغة، مع ذكره في ثانيا هذا التأليف لمآثر الباي محمد الكبير. حيث نال هذا العمل إعجاب عدد كبير من العلماء المعاصرين لابن سحنون كابن عمار والمختار أنكروف والمفتي ابن الشاهد، وفي هذا المقام يقول ابن سحنون: "... وفي أيامه السعيدة شرحت العقيقة شرحا ضخما عجيبا وفي مآثره الحميدة ألّفت هذا الموضوع" (ابن سحنون الراشدي، 1973: 147).

وباعتبار ابن سحنون الراشدي أحد أعضاء ديوان الباي محمد الكبير، ومن المقرّين إليه فلقد قام بتأليف كتاب "عقود المحاسن" وهو كتاب في الأدب تطرق فيه لمدح الباي محمد الكبير. لكن ما لوحظ هو أنّ ذلك التأليف لم يصل بين يدي الباي لأسباب غير واضحة (أبو القاسم سعد الله، 1981: 183). بدليل ما قاله ابن سحنون الراشدي: "... فلم تسمح الأيام بإيصاله إليه..." (ابن سحنون الراشدي، 1973: 147). لكن للأسف -يعدّ إنتاجه هذا في حكم المفقود- في حدود معلوماتنا -باستثناء كتاب الثغر الجماني.

3- المؤلف الثغر الجماني:

توجد منه نسخ نادرة، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 5114 (رقية شارف، 2007: 70)، ومخطوطة خاصة في ملكية الشيخ المهدي البوعبدلي الذي قام بتحقيقها ونشرها مطبوعة، حيث استغرقت مقدمته اثنين وثمانين صفحة -ص 07- ص 88- من جملة صفحات الكتاب الذي يضم 477 صفحة. هذا وقد قسم الشيخ مقدمته إلى قسمين: الأول أشبه بكتاب تناول فيه جوانب من تاريخ العهد العثماني في الجزائر، والثاني خاص بتقديم "الثغر الجماني" مُلخّصًا لذلك يُعدّ عمل المحقق أقرب إلى النشر منه إلى التحقيق.

وللعلم فإنّ شهرة ابن سحنون قد ارتبطت بتأليفه لكتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، الذي يذكر فيه تعليقا مفاده أنّ كتابه هذا - الثغر الجماني - كان في البداية قصيدة أرجوزة (حمدادو بن عمر، 2005: 312). بدليل قوله: "هذا وإني قد خدمت حضرته الفخيمة وأعتابه الكريمة بقصيدة أرجوزة سهلة الألفاظ... أوشكت أن تطرب الميت، وإذا جليت معانيها كادت أن تنوب على السراج في البيت، ومن بديع سرها أنّه لا حشو فيها أحتاج إلى الاعتذار عنه..." (ابن سحنون الراشدي، 1973: 92).

كما أورد ابن سحنون أنّه يقصد من وراء ذلك تخليد مآثر الرجل الفاتح وتدوين محامده ومفاخره، ليقف عليه آخر هذه الأمة فيعلمون قدره وإحسانه ويترجمون عليه ويدعون له بدليل قوله: "... وبأنّه تميم للبيت ذكرت فيها محاسنه الجهادية وأيامه الجلادية وكيفية توصله إلى هذا الثغر الذي تقاعدت عنه الملوك... وتدوين بعض محامده ومفاخره..." (ابن سحنون الراشدي، 1973: 92-93).

وعلى ما يبدو أنّ الباي محمد الكبير أو أحد أعضاء الديوان قد طلب من ابن سحنون الراشدي شرح الأرجوزة لبلوغ الغرض، فشرح مفرداتها ومضمونها مبينا مغزى كثير من مواضيعها الغامضة. وبذلك سمي المؤلف الذي جمع بين النظم والنثر بـ: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني (بلبروات بن عتو، 2001: 231)، فهذا هو ابن سحنون في مواصلته لذكر أسباب ودواعي تأليفه لهذا الكتاب يقول: "ثمّ إنني علمت أنّ لسان النظم حصور... والنثر أشدّ منه بيانا إذ به يصير الخبر عيانا، وبتذليل النظم به تزداد عبارته تبiana، فعزمت على أن أشرح تلك القصيدة شرحا يبيّن ألفاظها ويجلي على منصة الظهور أغراضها... وقد سميت هذا الصوان المحتوى على لبابه و المليح المشتمل بـثيابه الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ولما وقف عليه العلامة السيد اليبدي ابن حامد سمّاه الدر والعسد في مناقب الباي محمد..." (ابن سحنون الراشدي، 1973: 94).

كما أكّد الشيخ المهدي البوعبدلي على إمكانية تقسيم موضوعات ابن سحنون في كتابه الثغر الجماني إلى موضوعات رئيسية وأخرى ثانوية فمن الموضوعات الرئيسية أنّه تناول الفتح الأول لوهران على يد بكداش باشا سنة 1119هـ / 1708م والفتح الثاني على يد الباي محمد الكبير سنة 1206هـ / 1792م، ضف إلى ذلك تطرّقه إلى مجموعة من



الموضوعات الثانوية التي شملت ذكر لبعض التراجم للعلماء والأولياء، كالشيخ الهواري وإبراهيم التازي الشيخ بالقندوز وصلاح الدين الأيوبي، مع تنويهه بمسألة الرباط والفداء وحديثه عن البربر ونسبهم بل وحتى مواطنهم، شأنه في ذلك شأن أي عالم من علماء الراشدية خلال تلك الفترة (حمدادو بن عمر، 2005: 313-316). ومقارنة بما سبق، نستنتج أنّ طريقة ابن سحنون الراشدي في كتابة التاريخ شبيهة بطريقة علماء معسكر الآخرين خلال القرن الثامن عشر (18م). ونخصّ بالذكر كلّ من أبي راس الناصر صاحب كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وكتاب "الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية" وابن زرفة الدحاوي صاحب "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية". حيث سلك ابن سحنون نفس منهج معاصريه في الكتابة التي كانت تجمع بين الأدب والتاريخ، إذ يبدأ المؤرخ بكتابة قصيدة موضوعاتها تاريخية ثم ينتقل إلى شرح هذه الموضوعات شرحا تاريخيا وعلى منواله الخاص، وهو ما فعله ابن سحنون الراشدي في كتابه هذا. (غالام محمد، 1995: 02-03).

أمّا مفهومه للتاريخ فلا يخرج عن نطاق المفهوم التقليدي الذي يربط علم التاريخ بالحكمة والاعتبار، حيث أوصى ابن سحنون الراشدي بنهج أسلوب الفرس بقوله: "... كانت الفرس تكتب سير ملوكها ويتدارسونها..." (ابن سحنون الراشدي، 1973: 140). كما دعا إلى تدوين الأخبار لإذكاء الوعي الإسلامي بقوله: "... الغيرة على بلد المسلمين والإسلام أن تعمرها الأصنام والحر يغار على حرمة الإسلام أشد مما يغار على العيال..." (ابن سحنون الراشدي، 1973: 202).

ومن الملاحظ أنّ موضوعات أحمد بن سحنون الراشدي قد التقت فيها ثلاثة أجناس تاريخية، هي علم الأخبار والخاص بفتح وهران وعلم النسب المتعلق بالباي محمد الكبير وعلم التراجم المرتبط بالعلماء والأولياء (غالام محمد، 1995: 03). فابن سحنون قد وظّف هذه الأجناس لصياغة النص التاريخي، ولاعتقاده أنّ مصداقية التاريخ تحيل إلى الحكمة والحكمة لا تتحقّق إلّا من خلال أعمال الأكابر والعظماء النسب، وبمباركة الأولياء والعلماء -التراجم- وهي الرسالة التي أراد ابن سحنون الراشدي إيصالها حين خصّص لفتح وهران كتابه الموسوم بـ: الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني (المهدي البوعبدلي، 1972: 273-292).

وعلى العموم فلقد كان ابن سحنون الراشدي من علماء وفقهاء وأدباء الوطن الغريسي الراشدي، وأحد المؤرخين البارزين الذين كتبوا عن التطورات التي حدثت بأوروبا آنذاك (جلول جيلالي، 2006: 161). والجدير بالذكر أنّ ابن سحنون قد انفرد دون بقية المؤرخين المسلمين المعاصرين له بذكره لقيام الثورة الفرنسية سنة 1789م، وتبيينه لمغزاها وبعدها الاجتماعي القائم على قلب أسس المجتمع الإقطاعي بل وحتى إدراكه لمبادئها الجديدة حيث فهم ابن سحنون مغزاها فهما صحيحا كونه من القلائل في المغرب والمشرق العربيين الذين كتبوا عن هذه الثورة والتطورات التي أحدثتها في أوروبا (أنظر التعليق رقم 3). فكان بذلك ابن سحنون من علماء الراشدية المتميّزين ومن أدباءها المتمكّنين إلى أن توفي يوم: 17 من شهر ذي الحجة 1249هـ/ 1833م (جلول جيلالي، 2006: 161).

4- آراء الشيخ المهدي البوعبدلي في الكتب المؤلفة خلال العهد العثماني:

من خلال الاطلاع على ما أورده الشيخ المهدي البوعبدلي في تقديمه لكتاب " الثغر الجماني..." نجده يتفق مع أغلب الباحثين المحققين للكتب المؤلفة خلال العهد العثماني على ما يلي:

1- أنّ الكتب المؤلفة في العهد العثماني تمتاز باستعمال الألفاظ العامية وبكثرة الأخطاء النحوية، فهذا الشيخ المهدي البوعبدلي يقول عن كتاب " الرحلة القمرية ... "(ابن زرفة الدحاوي، 202: 3322). بأنّه كتاب تكثّر فيه المفردات العامية والأخطاء النحوية والصرفية المتعدّدة، ويتحدّث عن مؤلفه فيقول: " فإنّه رغم هذا كلّ كان يستطرد فيه ويقارن بين هذه الغزوات وغزوات النّبي صلّى الله عليه وسلّم "(ابن سحنون الراشدي، 1973: 66). كما يوضّح الشيخ المهدي البوعبدلي أنّ مؤرّخي العهد أنفسهم يشهدون على أنفسهم بكثرة الاستطرادات ثم العودة إلى الموضوع الرئيسي فهذا ابن زرفة الدحاوي ينبّه على ذلك في المقدمة بقوله: " معلما أنّ الرحلة لا تحتمل التبويب والتفصيل، ولا يبرهن على صحة ذلك بدليل، فأردت إذا فاتي ذلك أن نترجمها بشهور السنة القمرية، وموضع فصولها مشاهير الوقائع المحمدية، دائرا فيها مع دوران فلك القمر، متبركا في تعدادها بالانقباء الإثنى عشر، فلكل شهر ترجمان سيرته، وسمسار صفقته في رحلته "(ابن سحنون الراشدي، 1973: 66).

2-أن أسلوب التأليف لمؤلفي ذلك العهد يدلّ على مدى ثقافتهم التي كانت فقهية، وأنّ طريقة التأليف تقليدية بحثة، فهي تعتمد على سرد الوقائع وذكر الحوادث وكفى، فلا تحليل ولا تعليل ولا سبب ولا مسبب، ولعلّ ذلك راجع إلى شخصية المؤلّف من حيث ثقافته المحدودة، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ المهدي البوعبدلي حديثاً عن كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" (أبوراس الناصر، 1632: 03). جاء فيه: "... وإن كان غزير المادة في تاريخ البلاد بصفة عامة وفي تاريخ وهران وتراجم علمائها وقبائلها ورؤسائها، فإنّه كان يستطرد هو الآخر كثيراً من المسائل البعيدة عن الموضوع ويرسل عنان قلمه معها، مع ما امتاز به أسلوبه الضعيف، وبالخصوص شعره ونظمه، وذلك أنّه لم يتعلّم اللغة العربية وعلومها إلّا بعد أن تصدر لدراسة الفقه، فكان نظمها مهلهلاً لا يراعى فيه قواعد اللغة ولا الوزن، مع أنّه ألّف عشرات التأليف في اللغة" (ابن سحنون الراشدي، 1973: 66).

3-افتقار أغلب مؤلفات العهد إلى وحدة الموضوع والترابط العضوي فأغلبها يأتي خليط من الحوادث والأفكار والنقول والمذكرات. ومن خلال اطلاعي على كتب العهد العثماني المحققة من قبل الباحثين الجزائريين، نجد أنّ أغلب الباحثين يتفقون مع بعضهم بأنّ كل ما كتب في العهد العثماني يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار. وأن نعتبره تاريخاً أو كما يسمّيه عبد الله العروي "التاريخ موضوع المؤرخ والمؤرخ موضوع التاريخ" (عبد الله العروي، 1997: 25). ذلك لأنّ هذه الوثائق والكتب المؤلفة في هذا العهد تُعدّ مرآة عاكسة للحياة ونشاط المجتمع الجزائري، فهذا الشيخ المهدي البوعبدلي يقول عن تحقيقه لكتاب "الثغر الجماني ... "هذا التأليف الذي نقدّمه اليوم للقراء هو من التأليف النادرة القيّمة التي تميّط اللثام عن جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر في العهد التركي الذي ما زال يكتنفه الغموض" (ابن سحنون الراشدي، 1973: 07). كما يقول أيضاً "... وهو كما ذكرنا من أهم وأنفس ما ألّف في ذلك العهد" (ابن سحنون الراشدي، 1973: 10).

ونختم هذا الحديث بالقول بأنّ أغلب الباحثين الجزائريين -والشيخ المهدي البوعبدلي واحد منهم- يتفقون بأنّ مؤلفات العهد العثماني تتسم بالضعف (ركاكة الأسلوب، كثرة الاستطراد، أخطاء إملائية... إلخ) ومع هذا فهم يؤكّدون على الاهتمام

بهذا التراث، واعتبار كلّ وثيقة دُوّنت في العصر العثماني تاريخاً، لما تحتويه من أخبار ومعلومات عن ذلك العصر، وفي هذا المقام يقول المهدي البوعبدلي: "... ولهذا فنحن في أشد الحاجة إلى إعادة النظر في البحث عن ماضينا، وإلى معرفتنا بقيمتنا الحقيقية، والاعتناء بدراسة هذا الماضي دراسة علمية دقيقة، مجردة عن الأغراض والارتجال، وهذا يتوقف قبل كلّ شيء على جمع الوثائق المختلفة لذلك العهد، ودرسها من جديد، وتقديمها للقراء حتى يتسنى للخلف أن يعرفوا حقائق ماضي البلاد بصورة واضحة وأن يطلّعوا على المشاكل التي واجهت السلف وتغلّب عليها أو تغلّبت عليه" (ابن سحنون الراشدي، 1973: 08).

5- أهداف الكتابة والتأليف عند المهدي البوعبدلي:

ساهمت العديد من الدوافع في اهتمام البوعبدلي بالكتابة التاريخية وقد كان بحكم المناصب والوظائف يمثل المؤرخ والسياسي والحافظ للتراث الثقافي في الجزائر، ولعل من بين الدوافع التي دفعت بالمهدي البوعبدلي إلى الكتابة والتأليف في ميدان التاريخ هي تلك الأوضاع والظروف التي مرت بها الجزائر الداخلية والخارجية من فترات القدم إلى عهد ما بعد الاستقلال فتطرق في مختلف كتاباته إلى تاريخ الجزائر بالتفصيل وفي فترات ممتدة من تاريخها كما تطرق إلى التعريف بالعديد من الشخصيات والمخطوطات التي تبين حالة الوضع الثقافي في تلك الفترة مؤيدا الوجود العثماني بإيالة الجزائر.

هذا ويعتبر الشيخ المهدي البوعبدلي من بناء الذاكرة التاريخية الجزائرية حيث أراد الشيخ من خلال كتاباته الحفاظ على الهوية الوطنية للأمة عبر العديد من الأزمنة والأجيال حفاظا وحماية لها من تعرضها لضرب في مقومات شخصيتها كما حاول البوعبدلي من خلال كتاباته أن يحافظ على لغة الضاد التي تعتبر اللسان العربي للشعب الجزائري المسلم للوقوف ضد الاستعمار.

كما كان من أهداف البوعبدلي هو جمع الوثائق المختلفة ودراستها من جديد وتقديمها للقراء والباحثين بغية معرفة حقائق وتاريخ بلدهم الجزائر ناصحا الباحثين بضرورة التقصي في صدق الأحداث والروايات التاريخية بغية الوصول إلى الحقيقة.

- خاتمة:

من أهم النتائج التي يمكن استخلاصها أنه قد أصبح موضوع الاهتمام بالتراث الوطني وتحقيق المخطوطات من المجالات التي تحظى بالعناية لدى الباحثين، سواء في إطار دراسي أو حر، وهذا يستدعي من الجامعات الجزائرية منحه الأهمية البالغة في ميدان البحث التاريخي الأكاديمي.

وزيادة على هذا فإن تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي لهذا المخطوط، قد أضاف اللثام عن العديد من الحقائق التاريخية المتعلقة بفتح وهران الثاني عام 1792م، خصوصا ما تعلق بالحياة اليومية لطلبة العلم المرابطين، والأسلحة المستخدمة في قتال الإسبان، ناهيك عن عرضه لأهم أسماء المعارك التي خاضها طلبة العلم المرابطين مع العدو الإسباني، وكذلك كشفه لأسماء القادة المرابطين وأدوارهم العسكرية والجهادية والدينية.

كما يعد الشيخ المهدي البوعبدلي من الباحثين الجزائريين، الذين اهتموا بتحقيق المخطوطات التاريخية المؤلفة خلال العهد العثماني، أين أبدى رأيه في قيمتها وفي مضمونها، خصوصا مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني.

هذا وبالرغم ما قام به الشيخ المهدي البوعبدلي من جهد في إنقاذ هذا المخطوط الموسوم بالثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني من الضياع بنشره مطبوعا، إلا أننا نرى أنه في حاجة إلى إعادة تحقيق لنقص قواعد التحقيق فيه، حيث يفتقر الكتاب إلى الملاحق، والفهارس - باستثناء فهرس الموضوعات - مقابل ما يكتسبه من قيمة علمية تاريخية.

إن هذه المحاولة التي قام بها الشيخ المهدي البوعبدلي في تحقيق هذا المخطوط، ما هي إلا مبادرة أولى تحث الباحثين على المضي قدما بغية كشف المزيد من الحقائق التاريخية التي يحتويها كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لاسيما المتعلقة بالمشاركات الميدانية لطلبة العلم المرابطين في القتال ضد العدو الإسباني.

التعليقات:

- التعليق 01: لقد كانت زاوية اللوزات إحدى قلاع العلم والمعرفة بالوطن الغريسي الراشدي، كان يدير إدارتها العالم الجليل الشهير الفريد في وقته شايب الذراع أحد أبناء سيدي قادة ودفين أولاد ميمون والطاهر ابن البشير المتخصص في علم الفلك. حيث درس ابن سحنون على



يد عبد القادر شايب الذراع العديد من العلوم النقلية، ومن الذين درسوا مع ابن سحنون نذكر: أحمد التهامي والحبيب البودالي وحسين بن علي صحراوي الحبيب (جلول جيلالي، 2006: 157).

- التعليق 02: للاطلاع على ما جاء به ابن سحنون الراشدي من حديث عن الثورة الفرنسية، أنظر (ابن سحنون الراشدي، 1973: 224-225)، (غالم محمد، 1995: 03-06).

- التعليق 03: للمزيد ينظر: الشيخ عياض البوعبدلي: "حول نشأة الشيخ المهدي البوعبدلي"، والشيخ عبد الرحمن بن زيان في مداخلته الموسومة ب: "شخصية الشيخ المهدي" في الملتقى الأول حول حياة وأعمال الشيخ المهدي البوعبدلي 1907 – 1992 أيام 26 و 27 جويلية 2000 ببلدية أرزيو.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- البوعبدلي المهدي، (1972). "أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني". مجلة الأصالة، العدد: 08، ص. ص: 273-292.
- 2- البوعبدلي المهدي، (1982). "اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث قديما وحديثا"، كتاب الأصالة: ملتقى السنة النبوية الشريفة: محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر المنعقد بتلمسان، ج 4، ص. ص: 330-349.
- 3- بلبروات بن عتو، (2001). الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م-1797م). رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر.
- 4- جلول جيلالي، (2006). معسكر رجال وتاريخ، الجزائر: منشورات دار الأديب.
- 5- جريدة الفجر، (2008). يوم: 19 أوت.
- 6- دباغ محمد، (2004). "منهجية تحقيق المخطوطات: دراسة بعض التقنيات العملية". المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، العدد الثاني والثالث، ص. ص: 100-112.
- 7- الدحاوي ابن زرفة، (3322). الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة).
- 8- الزباني محمد بن يوسف، (1978). دليل الجبران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 9- حمدادو بن عمر، (2005). "الجزائر الحديثة من خلال الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي". مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، ص. ص: 312-320.



- 10- مجموعة أساتذة، (1987). "الحياة الروحية في الإسلام: معسكر رجال وتاريخ". في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، ج 1، معسكر: وزارة الشؤون الدينية، ص. ص: 01-36.
- 11- الناصر أبوراس، (1632)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة).
- 12- العروي عبد الله، (1997). مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، ط. 3. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- 13- سعد الله أبو القاسم، (1981). تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16-20 م، ج 2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 14- الراشدي ابن سحنون، (1973). الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي. الجزائر: مطبعة البعث.
- 15- شارف رقية، (2007). الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م: دراسة تحليلية نقدية. الجزائر: دار الملكية للطباعة والنشر.
- 16- التلمساني ابن هطال، (1969). رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، القاهرة: عالم الكتب.
- 17- غالم محمد، (1995). الشيخ والثورة الفرنسية نظرة عالم جزائري معاصر لثورة 1789، الجزائر: مطبوعات مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.